الآراء الفلسفية لإبراهام بار هييا

(١٠٧٠ م – ١١٣٦ م)

وتفسيره لمفهوم الزمن " دراسة تحليلية نقدية "

د. شيرين كمال محمد علي

دكتوراه في الفلسفة اليونانية والعصور الوسطى

مقدمة:

الأفلاطونية المحدثة أو مذهب الإسكندرانيين كما يسميها العرب، هى إحدى الموجات الفكرية التي انطلقت في القرون الأولى للميلاد من الإسكندرية التي كانت عاصمة للعلم والفكر، تلاقت فيها مذاهب جمة ومدارس متعددة، وخلفت أثينا بعد أن خبا ضؤوها وزال عنها ما كان يشد الرحال إليها، وكان ذلك لموقع الإسكندرية الجغرافي بين الشرق والغرب، وبعدها عن الحروب التي توالت على آسيا وبلاد اليونان لأزمنة طويلة، وكانت بها مكتبة ضخمة تضم أكثر من نصف مليون بردية كانت قبلة الأنظار في الشرق والغرب، كما ذاع فيها أيضا اسم مدرسة الطب، وترجمت التوراة إلى اللغة اليونانية، ونشطت الرياضة والكيمياء، ووضعت أسس تصنيف العلوم ونقد النصوص، وشرحت المذاهب الدينية والفلسفية، وازدهرت التجارة والصناعة، وفيها أخيرا امتزجت الآراء والأفكار والمذاهب والأديان والمعتقدات، واصطبغت اليهودية أولا ثم المسيحية ثانيا بالصبغة اليونانية.

ومن أهم الأمثلة على الفكر اللاهوتي اليهودي المتأثر بفلسفات اليونان عموما والأفلاطونية المحدثة خصوصا إبراهام بار هييا هاناسي (١٠٧٠ م – ١١٣٦ م)، الفيلسوف وعالم الرياضيات والفلك اليهودي الإسباني، والذي له فضلا عن أعماله الفلسفية أبحاث مهمة في الرياضيات والفلك جعلها في خدمة عقيدته اليهودية خاصة لحساب مواعيد الأعياد والطقوس الدينية، فضلا عن دراسته لموعد ظهور المسيح، وفي معظم مؤلفاته المتعددة يظهر التأثير الأفلاطوني المحدث واضحا.

إشكالية البحث : الوقوف على أصول الفلسفة اليهودية عند بار هييا، ومدى تأثره بالفكر الأفلاطوني المحدث.

تساؤلات البحث : ١– ما أهم أفكار فلسفة بار هييا ؟

٢ – كيف أفاد بارهييا اللاهوت اليهودي بأبحاثه العلمية خاصة الزمانية ؟

٣ – ما نواحي تأثر بار هييا بالأفلاطونية المحدثة ؟

٤ – هل اختلف بار هييا عن الأفلاطونية المحدثة في تناول بعض الأفكار ؟

منهج البحث : المناهج المستخدمة في البحث هى المنهج التاريخي لمعرفة الأصول التاريخية وأثر الأفلاطونية المحدثة في فكر بار هييا، والمنهج التحليلي لتحليل عناصر الفلسفة اليهودية لديه، والمنهج النقدي والمقارن لمقارنة أفكاره الفلسفية بالمذهب الأفلاطوني المحدث.

حياته:

لا يعرف عن حياة بار هييا سوى القليل، من ذلك أنه كان عالم رياضيات وفلك، وفيلسوفا يهوديا إسبانيا متميزا [١]، وهوحفيد حزقيا جاوون، ولد في برشلونة بإسبانيا وتوفي في فرنسا، يلقب بإبراهام اليهودي أو الإسباني [٢]، أما لقب هاناسي فيعني في العبرية في زمنه القائد أو الرئيس، ولكنه يعرف باسم عربي هوصاحب أو رئيس الشرطة، وحرف في اللاتينية إلى ساباسوردا، وسبب تسميته به يرجع لوظيفته، حيث يدل على توليه مناصب رفيعة، على الأغلب قضائية، في الإدارة في برشلونة.[٣]

فلسفته:

تظهر فلسفة بار هييا بوضوح في عملين له، الأول بعنوان: " تأمل الروح الحزينة"، وهو عمل أخلاقي يقوم على التوجيه والإرشاد من خلال تفسير نصوص الكتاب المقدس، والثاني بعنوان: " ترتيب الظهور "، ويهدف منه إلى تصحيح الجدول الزمني للإسكاتولوجي (وهو فرع من اللاهوت المسيحي)، على أساس أن المسيح سوف يظهر بعد عام ١١٣٦ م، وسيبعث الموتى في عام ١٤٤٨ م، ولكنه يتضمن أيضا مقاطع فلسفية. [٤]

وبالإضافة لكونه عالم رياضيات وفلكي، كان بار هييا أيضا فيلسوفا أخلاقيا ومؤلف أعمال دينية، ويظهر هذا واضحا في كتابه " تأمل الروح الحزينة "، وهو رائد أيضا في هذا المجال من الفلسفة، وفي ذكر العديد من المصطلحات الفلسفية لأول مرة، وقد تحدث عن التوبة في شكل عظات، مثل عظات أيام السبت ويوم عيد الغفران، تحث على حياة النقاء والإخلاص.

وهو في الوقت نفسه لا يتردد في استعارة الأفكار من الفلاسفة غير اليهود، ولقد أشاد بالحكماء القدماء من العالم الوثني، والذين وصلوا دون معرفة بالتوراة إلى معرفة حقائق أساسية عن بدايات الأشياء، وإن كان بشكل غير مكتمل لأن كلا من النهاية والمصدر الإلهي للحكمة بقيا غير معروفين بالنسبة لهم، ولكن في رأيه فإن غير اليهودي يمكنه الوصول لدرجة التقوى نفسها التي يصل إليها اليهودي. [٥]

---

1 – Paul Edwards – The Encyclopedia of Philosophy – Vol. 4 – Macmillan publishing co. – New York – 1967 – P. 267.
2 – Britannica.com – Abraham bar Hiyya – https://www.britannica.com/biography/Abraham-bar-Hiyya.
3 – J. J. O'Connor , E. F. Robertson – Abraham bar Hiyya Ha-Nasi – article, November 1999 – www-history.mcs.st-andrews.ac.uk/Biographies/Abraham.html.
4 – Edward Craig – Routledge Encyclopedia of Philosophy – Vol. 1 – Routledge – London and New York – 1998 – P. 649.
5 – Britannica.com – Abraham Bar Hiyya – op. cit..

١ – نشأة الكون (المادة والصورة) :

على عكس الكثير من الفلاسفة اليهود الآخرين في العصور الوسطى، كان بار هييا لا يتحدث عن البراهين عن وجود الله وصفاته، لأنه كان يعتبره واضحا بذاته غير محتاج لدليل أو برهان، فالكون من حولنا يدل بوضوح عليه كخالقه ومبدعه من العدم، وقد أنشأ صور جميع الأشياء والأنواع ونماذجها الأصلية الأولى في ستة أيام كامكانية، وبعد ذلك أحضرها إلى الواقع لتزيد قوتها وقدراتها بمرور الوقت، وفي حالة الإمكانية تتكون الأشياء من صورة ومادة وعدم، ولاحضارها من هذه الحالة إلى الواقع، فقد أزال الله العدم منها، ووحد ما بين الصورة والمادة، وهما العنصران الأساسيان في كل كيان مستقل بذاته تحت الرعاية الخالصة لله، وأيضا حتى في الكيانات المرتبطة ببعضها البعض كما أراد لها الله. [١]

ويظهر هنا تأثر بار هييا بأفلوطين والأفلاطونية المحدثة في منظومته الفلسفية، وهوتأثر يشبه تأثر ابن جابيرول، فالمادة لكونها خالية من كل واقع فهى تتطلب الصورة لاعطائها الوجود، واتحادهما معا يكون بإرادة الله، التي تخرجهما من الحالة الكامنة أو الإحتمالية إلى التحقق في الواقع، وهى عملية الخلق، والزمن نفسه يتم انتاجه مع خلق الأشياء في الوقت نفسه.

والمادة والصورة كل منهما له نوعان مختلفان، فهناك مادة خالصة نقية وأخرى غير نقية، وكذلك هناك صور سامية لا تختلط بالمادة، مثل الصور الملائكية أو التي ترتبط بالعالم العلوي، وصور أخرى أقل منزلة ودرجة وجوفاء، تقبل الاختلاط بالمادة [٢]، والنور هو المبدأ الميتافيزيقي الأساسي، حيث ينقسم العالم الذي يعلو على الإدراك إلى خمسة عوالم من النور، وهى تتوافق مع خمسة جاءت في سفر التكوين عند ذكر النور : عالم النور الرائع، والنور الإلهي أو عالم من الهيمنة، وعالم الفكر، وعالم النفس، وعالم الطبيعة.

عالم النور الرائع هو أنقى الصور وينير الصور الأقل، وبهذا يقدم لنا بار هييا ما يمكن تسميته صورة معدلة للخلق من خلال المراحل المفترضة له، في المرحلة الأولى يحدث الخلق كنتيجة لانبعاث النور من الصورة المغلقة التي تكون بالقرب من الله، وفي المرحلة الثانية تفيض الصورة المغلقة وتضئ الصورة المفتوحة الجوفاء فيمكنها من الاتحاد بالمادة، هذه الصورة المفتوحة تنقسم لقسمين، أحدهما يتحد بالمادة النقية الخالصة لتتكون السماء، والآخر يتحد بالمادة غير النقية لتكوين العناصر الأربعة الأساسية التي تتركب منها الأجسام

1 – Edward Craig – op. cit. – P. 649.
2 – Britannica.com – Abraham Bar Hiyya – op. cit..

في العالم، وفي المرحلة الثالثة ينبعث النور من الصورة المغلقة وينتشر من نقطة إلى نقطة، مما يتسبب في حركة الصورة وتغيير مكانها، فتنشأ عندئذ النجوم، والتي تفيض في المرحلة الرابعة لتظهر ثلاثة أنواع من الكائنات الحية في الأرض والماء والهواء.

ويجد بار هييا في سفر التكوين المصطلحات المقابلة لتمثيل هذا النظام الفيضي : "توهو" يعادل المادة لأنهما يشتركان في أن كليهما يحتاج للصورة، و"بوهو" يماثل الصورة في أن كلاً منهما يكون في المادة ومتحدا معها، و"مائيم" هو الصورة الأولى الأساسية التي تشتق منها كل الصور الأخرى، وبذلك يكون هناك ثلاثة أنواع للصورة، الأول صورة خالصة ذاتية الوجود لاتتحد أبدا مع المادة، وتتوافق مع النور الذي خلق في اليوم الأول للخلق، والثاني صورة تتحد بشكل دائم مع المادة، وباتحادهما خلقت السماء في اليوم الثاني، أما الصورة الثالثة فهى تتحد مؤقتا بالمادة، ومنها جاءت الكائنات التي خلقت في اليوم الثالث، والنوعان الأخيران لا يمكن أبدا أن يوجدا بعيدا عن المادة، ولهذا يضيف بار هييا نوعا رابعا وهو النفس، والتي يمكن أن توجد سواء مع الجسم أم من دونه[1]، وهى إما أن تتمتع بالحكمة التي تجعلها تسعى للصورة النقية الدائمة في العالم العلوي، ومن ثم تشاركها طبيعتها، أو لا تكون لديها الحكمة فتتابع المادة غير النقية في العالم السفلي غير الدائم وتشاركها طبيعتها، وعلى أساس هذا الاختيار تكون الزيادة أو النقصان في تكريم الإنسان، ليرتفع ويسمو في المكانة على باقي الكائنات، أو يقل عنهم، وهنا يظهر مدى تأثره بنظام الفيض الأفلوطيني.

يقول بار هييا في تعليق له على كتاب " الأخلاق " لأرسطو : " إن من ينجح في تدريب نفسه على التخلي عن كل فكرة من الهوى الدنيوي، ويتوق للعشق العلوي، لهو أكبر وأعظم ممن لا يزال يجري ويلهث وراء شهوة دنيوية، رغم أنه سيتركها في النهاية ".

كما يؤكد على قول أفلاطون في محاورة " فيدون " من أن الروح في هذا العالم الجسدي كأنها في سجن، والإنسان الحسي يحتاج جسده لعقوبات لكي تتحرر الروح من عبوديتها فيه، بينما الإنسان التقي حقا لا يحتاج لهذا، وليست هناك من ضرورة له للخضوع للصوم وغيره من أشكال الزهد، إلا ما هو في التشريع.

---

1 – Daniel H.Frank , Oliver Leaman – History of Jewish Philosophy – Routledge history of World Philosophies – Vol. 2 – Routledge – London and New York – First published – 1997 – P. 131.

ولكن الإنسان في النهاية هو مخلوق مفضل عن باقي المخلوقات، وقد عينه الله حاكما عليهم مثلما فضل إسرائيل على باقي الدول واصطفاها من بينها، ويؤكد ذلك أن المصطلحات الثلاثة التي أستخدمت لإنشاء إسرائيل كما جاءت في سفر " أشعيا " وهى بارا – يازار – أساه، هى نفسها التي استخدمت في خلق الإنسان كما ورد في سفر "التكوين".[1]

وبالعبارات اليهودية التقليدية، فإن النور يمكن أن يوجد في هذا العالم والعالم الآخر، والسماوات والنجوم وجودها في هذا العالم ولكن ليس في العالم الآخر، أما أقل المخلوقات فلا وجود لها في أي من العالمين، والبشر يتميزون عن الحيوانات الأخرى بالقدرة العقلية، ومن يعمل الصالحات منهم يكون وجوده الحقيقي في العالم الآخر وليس هذا العالم. [2]

٢ ــ الفلسفة الدينية :

بما أن البشر يمثلون قمة الخلق، فإن من واجبهم أن يبحثوا عن سبب علوهم عن باقي الكائنات، لأن هذا البحث يقود لمعرفة أصول كل الأشياء، والبشر يتميزون عن الكائنات الأخرى لأنهم هم وحدهم الذين خلقهم الله مباشرة، ولذا فإن بداخلهم الروح الإلهية، وأعطيت لهم السيادة على غيرهم من المخلوقات. [3]

والإنسان الذي هو قمة الخلق لديه ثلاثة نفوس : نباتية وحيوانية وعقلانية، والهدف من حياته هو إخضاع النفسين النباتية والحيوانية وهما الأقل لحكم النفس العقلانية، فإذا ما حقق ذلك كان من الصالحين، أما إذا كانت الهيمنة فيه لإحدى النفسين الأخريين، فيكون من الأشرار، وعند موته يحتفظ فقط بالنفس العقلانية، وهى الحالة التي يتحدد على أساسها مصيره في العالم الآخر، فيكون أفضل مصير، والثواب الأكبر من نصيب القديس الذي كان بمعزل عن شئون العالم منفصلا عنه، مكرِّسا حياته كلها للآخرة وعبادة الله والخوف منه، ولا تحركه رغباته أو شهواته، وهذا الزهد المثالي الذي يعبر عنه بار هييا هنا هو أمر نادر الحدوث في اليهودية، لكنه كان موجودا لدى معاصره بحيا بن فاقودا، والفضيلة الأساسية عند بار هييا هى التواضع، وكان يحتقر متاع الحياة الدنيا. [4]

ومثل بحيا يميز بار هييا ما بين ثلاثة أنواع من الأتقياء من الناس :

١- من يعيشون حياة بعيدة عن كل المطامع الدنيوية، ويكرسونها بشكل كامل لله فقط، وهو يتفق مع الفارابي في أنهم لا يمثلون سوى فئة صغيرة قليلة العدد.

---

1 – Britannica.com – Abraham Bar Hiyya – op. cit..
2 – Edward Craig – op. cit. – P. 649.
3 – Daniel H.Frank , Oliver Leaman – op. cit. – P. P. 131 / 132.
4 – Edward Craig – op. cit. – P. 650.

٢- من يشاركون في شئون العالم ولكن سلوكهم تحكمه الشرائع والقوانين، وهم يشكلون الجماعة المقدسة، أو مدينة المؤمنين كما يرى الفارابي أيضا.

٣- من يعيشون حياة الصالحين لكنهم قد يرتكبون الأخطاء، ثم يندمون بعد ذلك، ويتلقون عقابهم عليها، وينشرون الخير بين الناس، وهؤلاء يصفهم الفارابي بملكوت العدالة أو الأمة الصالحة. (١)

ووفقا لهذه الفئات الثلاث فهو يرى أن قوانين التوراة مقسمة لثلاث مجموعات :

١- الوصايا العشر، والتي تحتوي على القوانين الأساسية مع الإشارة بشكل خاص إلى من كرس حياته لله، وعاش حياته لخدمته مثل موسى، وهذه الفئة تشمل موسى ومن مثله فقط، وأول هذه الوصايا العشر والتي يعتبرها مجرد كلمة افتتاحية توضح الأصل الإلهي والهدف الأبدي للقانون، والتسع الأخريات تقدم مختلف القوانين المتعلقة بالله أو بالحياة الفردية أو بالمجتمع ككل، وكل فئة من هذه الثلاث تشير مرة أخرى إما إلى القلب، أو الشعور، وإلى كلام الإنسان، أو عمله.

٢- مجموعة القوانين الواردة في الكتب الثاني والثالث والرابع لموسى، والموجهة لشعب إسرائيل خلال التيه في الصحراء، أو خلال المنفى، لجعلها جماعة مقدسة تعتمد فقط وكلية على حماية خاصة من الله دونما اللجوء إلى الحرب.

٣- تشريعات سفر " تثنية الاشتراع من التوراة "، والموجهة للناس الذين يعيشون حياة البساطة ويمثلون مملكة العدالة، ومع ذلك فإنه في وقت الفداء اليهودي المسيحي، حينما تكون روح الشر قد تلاشت تماما، وعندما يصبح الإنسان المادي روحيا، وتفسح المشاعر التي خلقت الكراهية والفتنة الطريق لمحبة الإنسان، والإخلاص في طاعة إرادة الله، فإن أي قوانين أخرى لن تكون بضرورة وأهمية تلك المتعلقة بالله في الوصايا العشر، وهى القانون المكتوب على قلب الإنسان، وعلى أساسها سيكون فقط لمن يملأه الحب لمن حوله ويخلو من الخطيئة مكانا في النعيم الأبدي لله. (٢)

إن الشر والخير كليهما ينبعان من الله، وموجودان في هذا العالم ليس فقط لاختبار الصالحين، وإنما أيضا لمجازاة الأشرار، لذا فإن الإرادة الحرة للتوبة تنتهي مع الموت، وليست هناك توبة لاحقة، وما قد يقوم به أبناء أحد ونسله بعد موته لا يمكن أن يؤثر فيه ولا في

---

1 – Heinrich Graetz – History of the Jewish From the Earliest Times to the Present Day – edited and translated by Bella Lowy – Vol. 5 – London – 1892 – P. 320.
2 – Britannica.com – Abraham Bar Hiyya – op. cit..

مصيره في العالم الآخر، والأشياء المكتسبة في هذا العالم لا تدوم، والصالحون يعيشون فيه فقط لإنشاء حياتهم الأخروية الدائمة وتأسيسها، هذه الحياة التي نكتسبها بالإيمان بالله والتوراة والأعمال الصالحة لمرضاة الله، أما الأشرار فهم لا حياة ولا مستقبل لهم بعد الموت، حيث تختلط أرواحهم التي بلا أجساد ببعضها، ولا يمكن تمييز أحدها عن الأخرى، وهذا الطمس هو مصير كل غير اليهود حتى ولو تابوا، لأنها توبة ليست في سبيل الله، لا يستحقون من أجلها العالم الآخر الذي هو النعيم الخالص، " حياة بلا موت، هى وجود بلا عدم ".

ومثلما يتفوق الإنسان على سائر الحيوانات تتفوق إسرائيل على الدول الأخرى، إلا أن هذا التفوق ليس حكرا عليها هى فقط، وإنما هو مفتوح لجميع الذين هم على استعداد لقبول التوراة، وفي عصر التبشير (المسيحاني أو اليهودي مسيحي)، سوف ينتهي كل شر وتلغى كل العداوات، وجميع الأشرار سيموتون ومعهم معظم الدول على وجه الأرض، لن ينجو إلا شعب إسرائيل، والمهتدين بحق وصدق للتوراة، وكل معاناة إسرائيل ستكون هناك مقابلها عقوبات تفرض على الدول الأخرى في العالم في وقت الخلاص، والذي سيسبق البعث من الموت، حيث سيكون لإسرائيل فقط أن نفوس الصالحين منها سيجتمع شملها مجددا مع أجسادهم.[١]

ومما قام به بار هييا، وكانت له أهمية كبيرة هى محاولته تأسيس فلسفة للتاريخ على غرار المفاهيم التلمودية والغنوصية والمسيحية والإسلامية، وهو يرى أن الفترات التي ينقسم إليها تاريخ العالم تتوافق مع أيام الخلق السبعة التي ذكرها سفر التكوين، وأن فساد الإنسان بسبب خطيئة آدم لم يتم تجاوزه وعلاجه إلا في شعب إسرائيل، والذي تظل الروح العقلانية فيه محافظة على نقائها الأصلي، وهذا التفسير للطابع الخاص لشعب إسرائيل لكونه الشعب المختار قد تأثر فيه بار هييا بالنسخة الإسلامية من أسطورة الإنسان الغنوصية، ولكنه فقط يعطيها الصبغة اليهودية. [٢]

بار هييا الفلكي والرياضي والمترجم :

بار هييا عالم موسوعي، كتب في علم الفلك والتنجيم والرياضيات والجغرافيا، والبصريات والموسيقى بالإضافة للفلسفة، وأصبح البعض من أعماله بعد ترجمتها للاتينية مصادر مهمة في العلوم الأوروبية في القرون الوسطى، وهو نفسه كان مترجما من العربية

1 – Edward Craig – op. cit. – P. 650.
2 – Sarvepalli Radhakrishnan – History of Philosophy , Eastern and Western – Vol. 2 – George Allen and Unwin LTD – first published – 1953 – P. 83.

للاتينية، وتعاون في عدد من الترجمات العلمية مع العالم المسيحي أفلاطون التيفولي، والذي نقل النظام البطلمي للعالم اللاتيني. [١]

ولقد كان أول من كتب في العلم والرياضيات بالعبرية، وقدم من خلال مؤلفاته الأصلية، وكذا ترجماته المصطلحات الفنية الرياضية والفلكية التي ظلت في العبرية حتى الآن، كما ظهر واضحا اهتمامه الكبير بالتنجيم، وإيمانه بأحكامه، وبتأثير النجوم في مجرى الأحداث في كتابه " ترتيب الظهور "، وأيضا في خطاب أرسله ليهودا بن برزلاي عن حساب الوقت الملائم لحفل زفاف عالم شاب كما طلب منه.

ولقد كان أحد أهم أعماله العلمية هو أول عمل كامل ودقيق لكاتب يهودي عن القياس والحساب، وقد سبقه سعديا جاوون وتعرض بالعربية إلى بعض جوانب مسح الأراضي وربطها بقوانين الميراث، ولكن هذا لا يمكن مقارنته مع عمل بار هييا الذي كان على درجة عالية من التطور الرياضي، وظهر ذلك في صياغته للمعادلات لحساب المستطيل، وادخاله لمبادئ هندسية أخرى، وهى التي اقتبس منها مباشرة الرياضي الشهير في القرن الثالث عشر ليوناردو فيبوناتشي من بيزا، والذي يلقب بأعظم رياضي مسيحي، وأعماله قدمت الهندسة العربية وعلى رأسها هندسة بار هييا إلى أوروبا المسيحية.

أهمية هذا العمل ترجع أيضا لكونه يقدم أول برهان في العبرية على محيط الدائرة، وبالإضافة لحسابات هندسية مهمة، فلقد قدم هذا الكتاب للغرب بعض المعرفة في علم حساب المثلثات العربي [٢]، كما كان أيضا أول من أدخل علم الجبر في الغرب، ويحتوي على الحل الكامل لمعادلات الدرجة الثانية، وهو النص الأول في أوروبا الذي يعطي هذا الحل، ولقد درس بار هييا أعمال الخوارزمي وغيره من الرياضيين العرب في الجبر، ومنهم الكراجي[٣]، وترجم أفلاطون التيفولي هذا الكتاب للاتينية تحت عنوان " يبر إمبادوروم "، وكان قد عمل مع بار هييا في وقت سابق في الترجمة العلمية، وقد اقترح أحد الباحثين المعاصرين أن تاريخ وفاة بار هييا كان في عام ١١٤٥ م على أساس ترجمة أفلاطون للكتاب في هذا العام، ولكن لا يوجد دليل على أن بار هييا كان لا يزال على قيد الحياة

1 – Edward Craig – op. cit. – P. 649.
2 – Norman Roth – Medieval Jewish Civilization – Routledge Encyclopedias of the Middle Ages – Routledge – New York and London – 2003 – P. 4.
3 – J. J. O'Connor , E. F. Robertson – op. cit..

عندما تمت هذه الترجمة، هذا بفرض أنها كانت فعلا في هذا العام [١]، وفي العام نفسه ترجم روبرت تشيستر كتاب " الجبر " للخوارزمي الذي كان كتاب بار هييا مكملا له.

وبالنسبة للهندسة كان لبار هييا فيها دور بارز أيضا، وقد كانت دراسته لها قائمة على أساس هندسة إقليدس في المقام الأول، ولكنه عرف أيضا إسهامات اليونان الهندسية ومنها كتاب " المجال " لثيودوسيوس وهو في ثلاثة أجزاء، وكتاب " في المجال المتحرك " لأوتوليكوس، وكتاب " هندسة المخروطيات " لأبولونيوس، وكذلك الإسهامات اللاحقة بعد ذلك لهيرون وميناليوس من الإسكندرية. [٢]

وهناك كتاب آخر له يمثل أهمية كبرى أيضا لأنه يحتوي على الكثير من المعلومات الفلكية المختلطة مع مختلف المفاهيم الكونية، والمستمدة جزئيا من بطلميوس والبابليين القدماء، وجزئيا من الأعراف القانونية اليهودية، حيث يشير إلى أن جميع العلماء متفقون على أن الأرض كروية، ثم ينتقل إلى مناقشة التوازن في تقسيم الأراضي والبحار لأجزاء متساوية، وكذلك الليل والنهار والسماوات والأرض، وكل ذلك يقوم على أساس من فهمه لسفر التكوين، كما يرى أن دورة القمر حول الأرض في ٣٦٥ يوما وربع أو أقل قليلا هو بالتأكيد أقل من الدقة العلمية، وتحدث عن خط الاستواء، والقطبين الشمالي والجنوبي ودوران الأرض حول محورها من الشرق للغرب، بشكل مثير للاهتمام في كتابه " شكل الأرض "، مستعملا مرة أخرى المصطلحات التي لا تزال حاليا في العبرية الحديثة، ومع ذلك فقد كان يعتقد خطأ أن الأرض هى بالضبط في مركز الكون وعلى مسافة واحدة من جميع أطرافه، بالرغم من أنه كان معروفا في عصره أن هذا ليس صحيحا. [٣]

ومع متابعته لبطلميوس وذكره بعضا من كتبه التي اطلع عليها، فلقد قدم الكثير من الإضافات التي تمثل أصالة وجدة، وكان لها تأثيرها في العلماء من بعده، منها على سبيل المثال وصفه للسماوات كنظام من الأفلاك المركزية تدور حول محور، وحول الأرض التي هى ثابتة، وهذا الدوران يكون من الشرق إلى الغرب، بينما كل من الشمس والقمر يكون اتجاه دورانه عكسيا من الغرب للشرق. [٤]

---

1 – Norman Roth – op. cit. P. 4.
2 – J. J. O'Connor , E. F. Robertson – op. cit..
3 – Hannu Toyryla – Abraham Bar Hiyya On Time , History , Exile and Redemption – Library of Kongress publish – 2014 – P. 24.
4 – Norman Roth – op. cit. – P. 4.

وكتابه " شكل الأرض " هذا يعتبر أول كتاب علمي منظم عن الفلك بالعبرية، ويبحث في تكوين السماء والأرض، فيعالج الأجرام السماوية ومجموعة النجوم، وهو يقسم علم الرؤية أو ملاحظة الأفلاك كما يسميه إلى قسمين :

١- وصف أشكال الأجرام السماوية.

٢- القسم النظري ويبحث في النجوم وأوضاعها ويتكلم عن علم التنجيم ويسميه العلم العملي.

والكتاب مقسم لعشر أقسام : القسم الأول يتكلم فيه عن السماء، والأرض ويبرهن على كروية الأرض، ويشرح وضعها وأقسامها إلى سبع طبقات موضحا أقسام السماء، والفكرة السماوية، وفي القسم الثاني يصف النجوم وأشكالها، والمجموعة الشمسية، وفي الثالث القمر ومجموعته، وفي الرابع الكسوف والخسوف وأسبابهما، ويهتم في الخامس والسادس بمجموعة الكواكب السيارة ما عدا الشمس والقمر، وفي السابع يشرح مكان النجوم، وفي الثامن تأثير ضوء الشمس في النجوم، وفي التاسع اتساع الأرض ومقياسها، ويعطي في النهاية في القسم العاشر الآراء المختلفة في ملاحظة النجوم، وهذا الكتاب كان له تأثير دائم في العلماء اليهود والمسيحيين في وقت لاحق. (١)

وشيئ آخر مهم جدا قدمه بار هييا وهو إشارته لتصويبات مفقودة قام بها هيبارخوس على أعمال بطلميوس، ولقد اعتقد خطأ أن هيبارخوس كان معاصرا للإسكندر الأكبر، وبناء على هذا أخذ المسلمون في مصر ما جاء به هيبارخوس واعتمدوا عليه في حساباتهم الفلكية ولا يزالون يجرونها وفق تعاليمه، ولم يفوت بار هييا هذه الفرصة للتباهي والادعاء أن كل ما عرفه هيبارخوس قد تعلمه من الحاخامات اليهود.

وهناك دراسة لاحتمال وجود علاقة ما بين كتاب " شكل الأرض " لبار هييا، وكتاب مماثل لإبراهام ابن عزرا، وقد أشار موسى بن ميمون إلى الكتاب الأول في تعليقه على المشناه، واعتمد عليه بشكل كبير في بعض أعماله. (٢)

و لقد كتب بار هييا كتابه " تأمل الروح الحزينة " متأثرا فيه إلى حد كبير بأعمال البتاني، الفلكي المسلم في القرن التاسع، والذي هو نفسه قد يكون قد تأثر بالأفكار اليهودية، والكتاب يتضمن أول الجداول الفلكية المكتوبة بالعبرية، ولقد انتقد إبراهام بن عزرا في أحد أعماله بار هييا لادعائه المزعوم باستفادته من الجداول الفلكية لبطلميوس، في حين أنه استخدم جداول البتاني، إلا أنها كانت في الواقع تصحيحات على جداول بطلميوس.

---

1 – Meyer Waxman – A History of Jewish Literature – Bloch publishing CO. – New York – USA – 1930 – P. 448.

2 – Norman Roth – op. cit. – P. 4.

وهناك أعمال أخرى لبار هييا منها كتاب " ترتيب الظهور "، والأجزاء التي تبقت من موسوعته العلمية " أسس الفهم وبرج الإيمان "، والتي تقدم معلومات متنوعة في الفلك، والرياضيات، والبصريات، والموسيقى، وتعد أول موسوعة باللغة العبرية، وكل هذه المؤلفات قد تم تعديلها مع الترجمات القشتالية أو الكاتالونية، والتي قام بها العالم الإسباني الشهير ميلاس فاليكروسا.[١]

وكتابه " ترتيب الظهور " هو مزيج من العلوم، والمفاهيم الكونية، والجدل، والأفكار الفلسفية، وإن كانت الأفكار الأفلاطونية غالبا غير واضحة لديه، مما كان يجعله يميل للأفكار الأرسطية، كما أن في الكتاب أيضاً هجمات قاسية على الاسلام، لا سيما في علم الفلك، وكذلك بعض الكلمات القاسية عن المسيحية، ولكنها ليست بدرجة الحدة نفسها التي في هجومه على الإسلام، ويشير في نهايته إلى أنه ينبغي تدمير مملكة الشر عن طريق ملك جديد سيأتي ومعه دين جديد، إنه عمل أهم وأكثر أصالة من كتابه " تأمل الروح الحزينة "، والذي هو في الواقع ليس أكثر من سلسلة من المواعظ التي تحمل بعض التأثيرات الأفلاطونية المحدثة والأرسطية، وترتكز أهميته في كونه أول كتاب فلسفي يكتب بالعبرية، وفيما يحتويه من مصطلحات جديدة مهمة.

والفكرة الوحيدة المبتكرة حقا هى وجود تقدم في مفهوم الزمن بعد أرسطو الذي اعتبر الزمن وسيلة قياس للحركة لمعرفة مدة وجود الموجودات، في حين رأى هو أن فكرة الزمكان هى ميزة أو سمة في فكر الإنسان، لا ترتبط بالحركة كحادث كما كان يرى أرسطو، إلا أنه في موضع آخر يعود للمفهوم الأرسطي مجددا، ويقول ما يشير إلى أن ما يعرضه من أفكار عن الزمن ليست أفكاره هو، ومنها أن الزمن لم يكن له وجود قبل الخلق، تماما مثل العالم، وكلاهما أيضا له نهاية. [٢]

وبشكل عام فإن من أهم ما يميز أعمال بار هييا اهتمامه فيها بالرياضيات واللغة العربية، وهى تمثل مع أعمال إبراهام بن عزرا البداية الحقيقية للدراسة العلمية العبرية للرياضيات، ويشير ت. ليفي وكان رياضيا يهوديا في العصور الوسطى، إلى أن الجزء الأكبر من الرياضيات الكلاسيكية في العبرية قد ترجم عن العربية فيما بين الثلث الثاني من القرن الثالث عشر والثلث الأول من القرن الرابع عشر في الساحل الشمالي الغربي للبحر الأبيض المتوسط، وحدثت هذه الحركة بعدما أصبحت الأعمال الأصلية لبار هييا وابن عزرا متاحة لعدد كبير من القراء. [٣]

---

1 – Hannu Toyryla – op. cit. – P. 56.
2 – Norman Roth – op. cit. – P. 5.
3 – Ivy A. Corfis – Andalus , Sepharad and Medieval Iberia : Cultural Contact and Diffusion – Netherlands – Koninklijke – Brill – 2009 – P. 8.

وبرغم ذلك فإنه يصعب إلى حد ما تحديد مكانة معينة لبار هييا في تطوير الرياضيات، لأن تأثيره لا يقتصر على ثقافة واحدة وإنما يشمل عدة ثقافات، وهذا مما يزيد في أهميته لكونه كان سببا في التبادل بين هذه الثقافات والاستفادة من بعضها البعض، ويقول ت. ليفي في كتابه " إبراهام صاحب الشرطة ونظامه الحسابي " : إن بار هييا بالتأكيد لا ينتمي لمجموعة رياضية واحدة، فلقد قضى معظم حياته في برشلونة، وهى منطقة للتعليم العربي والمسيحي معا، وكان نشطا في ترجمة روائع العلوم العربية، وكان يأسف لعدم معرفة الناس في بروفانس باللغة والعلوم العربية، وقد كتب مؤلفاته باللغة العبرية لاهتمامه بتعميم المعرفة بين قراء العبرية، إلا أنه ساعد في ترجمة مؤلفات أخرى إلى اللاتينية. [١]

وهذه قائمة بأهم أعماله ومؤلفاته :

- " العلة الأولى وبرج الإيمان "، وهو عمل موسوعي يتناول الحساب، والهندسة، والبصريات، والفلك، والموسيقى، وللأسف لم تتبق منه سوى أجزاء قليلة محفوظة في مكتبة بروسيا، ومكتبتين في برلين وميونيخ في ألمانيا، وهناك نسخة تحت اسم زائف في مكتبة بودليان في إنجلترا، وهى مكتبة جامعة أكسفورد.
- " أطروحة هندسية "، وربما كان الغرض منه أن يكون مكملا للعمل السابق، وترجمه أفلاطون التيفولي عام ١١٤٥ م.
- " شكل الأرض "، وهو عمل فلكي عن تشكيل السماوات والأرض، ترجم جزءٌ منه إلى اللاتينية بواسطة سباستيان مونستر، وإيراسموس أوزوالد ستانشنايدر، ويبدو أيضا أن هناك ترجمات أخرى كاملة له إلى اللاتينية والفرنسية، وهناك نسخة منه في مكتبة بودليان بجامعة أكسفورد مع التعليق، ترجع في الغالب إلى حاييم ليسكر [٢]، وكانت هناك نسخة منه أيضا في مكتبة الطبيب اليهودي الشهير يهودا موسكوني (توفي عام ١٣٧٧ م)، في جزيرة مايوركا. [٣]
- " حساب مسارات النجوم "، ويعتبر الجزء الثاني للعمل السابق، وقد وجدت مخطوطاته مع ملاحظات إبراهام بن عزرا.
- " الجداول أو الجداول الرئيسة "، وهى جداول فلكية، وتسمى بجداول البتاني لأن بار هييا قد تابعه في هذا الاسم، والعديد من مخطوطات هذا العمل تحتوي على ملاحظات إبراهام بن عزرا، مما سبب الخلط بينهما.

---

1 – J. J. O'Connor , E. F. Robertson – op. cit..
2 – Britannica.com – Abraham Bar Hiyya – op. cit..
3 – Norman Roth – op. cit. – P. 4.

- " كتاب الاقحام "، ونشره فيليبوسكي في لندن عام ١٨٥١ م، ويعتبر أقدم عمل عبري يتناول حساب التقويم.
- " تأمل الروح الحزينة "، وهو عمل أخلاقي قائم على أساس ديني وعقلي، نشره فريمانن عام ١٨٦٠م، مع سيرة ذاتية للمؤلف وقائمة بأعماله.
- " ترتيب الظهور "، وهو عمل مثير للجدل حول حساب وقت ظهور المسيح.
- رسالة دفاعية إنجيلية موجهة إلى يهودا بن برزيلاي البارزلوني. [١]

المؤثرات المختلفة في فكر بار هييا :

عادة ما يصنف بار هييا ضمن فلاسفة الأفلاطونية المحدثة، وذلك يرجع لنظريته في الفيض ومذهبه عن النور، ومع ذلك فإن أفكاره عن الصورة والمادة، أو الإمكان والواقع، أو القوة والفعل، تظهر أثرا من التفكير الأرسطي، ذلك أنه كان يستقي أفكاره من كلا المذهبين، لأنه كانت له معرفة جيدة بمختلف مدارس الفكر اليوناني المعروف في زمنه ومكتوب بصياغة وتلخيص عربيين، وكان فكره أحيانا ما يعكس الفكر الصوفي العربي، وأفكار إخوان الصفا [٢]، كما كان على دراية أيضا بالفكر المسيحي، وكانت مصادره انتقائية، وتركيزه على إحداها أو بعضها في معظم الأحيان كان بدافع من الشواغل والمخاوف اليهودية، و لكنه ما كان يمكنه أن يظل مرتبطا دائما بنظام واحد فحسب.

ومثل الفلاسفة اليهود الآخرون سعى بار هييا للتوفيق ما بين الفكر اليهودي والعقلانية في عصره، ولذا جاءت كل أعماله الفلسفية تستند لأساس عبري رباني، أو من الكتاب المقدس، وكان غالبا ما يستخدم المنهج التفسيري لربط فلسفته بالتراث الديني التوراتي، وهناك فصلان من أربعة فصول لكتابه " تأمل الروح الحزينة " يأخذان شكل المواعظ، ويقرآن في الكنيس أو المعبد اليهودي في الصباح وبعد الظهر من يوم التكفير، كما أن تناوله لموضوعات كالخطيئة والتوبة والإيمان بالآخرة يتبع فيه التقاليد الحاخامية. [٣]

الأهمية والأثر :

يحتل بار هييا جنبا إلى جنب مع إبراهيم بن عزرا مكانا بارزا في تاريخ العلم اليهودي، وكان من أهم الشخصيات التي كان لها دورها الفعال في الحركة العلمية التي جعلت يهود بروفانس، وإسبانيا، وإيطاليا وسطاء ما بين العلم المحمدي والعالم المسيحي

1 – Britannica.com – Abraham Bar Hiyya – op. cit..
2 – Leon D. Stitskin – Judaism as a Philosophy , A Philosophy of Abraham Bar Hiyya – Ploch publishing company – Yeshive University – 1960 – P. 17.
3 – Edward Craig – op. cit. – P. 650.

(Mohammedan science and the Christian world)، ولقد ساهم في هذه الحركة ليس فقط بأعماله الأصلية ولكن أيضا بترجماته. [١]

وبالتزامن مع معاصره يهودا بن برزلاي، كان بار هييا أول فيلسوف يهودي يكتب بالعبرية، ولذا فقد صاغ العديد من المصطلحات التي استخدمها هو لأول مرة، بينما كان سابقوه يكتبون باللغة العربية وإن كان بأحرف عبرية، وذلك للجمهور من اليهود في البلدان الإسلامية، ولذلك فإن استخدام بار هييا للعبرية في الأعمال الفلسفية والعلمية يشير إلى أنه كان يكتب لليهود الآخرين أيضا ربما في جنوب فرنسا، والذين كان الفكر الفلسفي جديدا بالنسبة لهم، وكان هو حريصا على التأكيد على أن أفكاره ترجع لمصادر توراتية، وامتد تأثير كتاباته إلى من جاء بعده من المفكرين والفلاسفة اليهود، وفكر الكابالا، وكذلك الصوفية الألمان. [٢]

1 – Britannica.com – Abraham Bar Hiyya – op. cit..
2 – Edward Craig – op. cit. – P. 650.

تعقيب:

إبراهام بار هييا من الشخصيات القليلة التي استطاعت الجمع في تناغم عجيب بين الفلسفة والعلم، وتمكن من توظيف كل منهما لخدمة الآخر وتوضيحه وتفسيره، بحيث لا يمكننا القول عنه أنه فيلسوف فقط أو عالم فحسب، وإنما هو فيلسوف عالم، أو عالم متفلسف، والفصل بين الجانبين في شخصيته هو لغرض الدراسة لمنظومته الفكرية فحسب، ولكن إضافاته في كليهما قيمة ومتفردة، وكان لها أثرها الواضح في المعاصرين له، واستمرت لأجيال من بعده.

فبالنسبة للفلسفة كان الجانب الديني طاغيا عليها، شأنه شأن المفكرين في هذه الفترة في العصور الوسطى، وكان اعتماده إلى حد كبير على نصوص التوراة ومصطلحاتها وتعبيراتها، ونجح في هذا بتميز فاق به معاصريه من الفلاسفة اليهود، وهو يشترك معهم في فكرة تفوق إسرائيل على ما عداها من الأمم، وإن كان من الممكن ملاحظة درجة تعصب أقل نسبيا لديه، وفي تعرضه لموضوع نشأة الكون استطاع المزج ببراعة بين هذا الجانب الديني لديه والمؤثرات اليونانية في فكره خاصة الأفلاطونية المحدثة والأرسطية.

أما الجانب العلمي فإضافاته فيه لها أثرها وقيمتها في الفلك والرياضيات بفروعها، وكان للمؤثرات العربية فيها دور ملحوظ، إضافة أيضا لعلوم اليونان خاصة الفلكية والهندسية، ونقل كل هذا إلى اليهود المعاصرين له ومن أتوا بعدهم، من خلال إضافاته في إنتاجه الغزير سواء في مؤلفاته أم ترجماته، وكان تميزه في ترجماته ونقله العلوم المختلفة والمصطلحات الجديدة التي أضافها من خلال ذلك كتميزه في إضافاته الجديدة إليها.

و من أهم النتائج التي يمكن التوصل إليها من هذا البحث ما يلي :

١- من أهم الأفكار في فلسفة بار هييا حديثه عن نشأة الكون وكل ما فيه من موجودات من خلال المادة والصورة واتحادهما ببعضهما، والأنواع والأشكال والدرجات المختلفة لهما، كما سعى من خلال فلسفته الدينية إلى التوفيق بين أفكار العقيدة اليهودية والمذاهب الفلسفية اليونانية، إلى حد التعبير عن أفكار هذه المذاهب بمصطلحات من التوراة.

٢- كانت لآراء بار هييا وحساباته الفلكية والرياضية عظيم الأثر والأهمية في اللاهوت اليهودي وكذا المسيحي، حيث تحدث عن حساب وقت عودة المسيح، واهتم بالتنجيم وبأحكامه وتأثير النجوم في مجرى الأحداث، وكان أول من كتب في العلم والرياضيات بالعبرية، وقدم من خلال مؤلفاته الأصلية، وكذا ترجماته المصطلحات الفنية الرياضية والفلكية التي ظلت في العبرية حتى الآن.

٣- تأثر بار هييا بالأفلاطونية المحدثة بشكل ملحوظ، وأخذ بالكثير من آراء هذا المذهب خاصة في أفكاره عن نشأة الكون، كما حاول جاهدا التوفيق بينه وبين العقيدة اليهودية، مثلما حاول أيضا التوفيق بينها وبين مذاهب فلسفية يونانية أخرى كالأفلاطونية والأرسطية.

٤- برغم ذلك التأثر الكبير بالفكر الأفلاطوني المحدث إلا أن بار هييا قد خالفه في بعض الآراء، ويرجع ذلك لتأثره، بجانب فلسفة هذا المذهب، بفلسفات مذاهب فلسفية يونانية أخرى، وفي أحيان أخرى للتناقض الشديد بين بعض هذه الآراء وبين العقيدة اليهودية التي كان لها عنده المقام الأول والدرجة العليا والأسمى.

مراجع البحث

1- Britannica.com – Abraham Bar Hiyya –
https://www.britannica.com/biography/Abraham-Bar-Hiyya.

2- Daniel H.Frank , Oliver Leaman – History of Jewish Philosophy – Routledge History of World Philosophies – Vol. 2 – Routledge – London and New York – First published – 1997.

3- Edward Craig – Routledge Encyclopedia of Philosophy – Vol. 1 – Routledge – London and New York – 1998.

4- Hannu Toyryla – Abraham Bar Hiyya On Time , History , Exile and Redemption – Library of Kongress publish – 2014.

5- Heinrich Graetz – History of the Jewish From the Earliest Times to the Present day – edited and translated by Bella Lowy – Vol. 5 – London – 1892.

6- Ivy A. Corfis – Andalus , Sepharad and Medieval Iberia : Cultural Contact and Diffusion – Netherlands – Koninklijke – Brill – 2009.

7- J. J. O'Connor , E. F. Robertson – Abraham Bar Hiyya Ha-Nasi – article November 1999 – www-history.mcs.st-andrews.ac.uk/Biographies/Abraham.html.

8- Leon D. Stitskin – Judaism as a Philosophy , Aphilosophy of Abraham Bar Hiyya – Ploch publishing Company – Yeshive university – 1960.

9- Meyer Waxman – A History of Jewish Literature – Bloch publishing CO. – New York – USA – 1930.

10- Norman Roth – Medieval Jewish Civilization – Routledge Encyclopedia of the Middle Ages – Routledge – New York and London – 2003.

11- Paul Edwards – The Encyclopedia of Philosophy – Vol. 4 – Macmillan publishing co. – New York – 1967.

12- Sarvepalli Radhakrishnan – History of Philosophy , Eastern and Western – Vol. 2 – George Allen and Unwin LTD – first published – 1953.